

الكرامة الربانية في فن الخط العربي - الخطاط حمد الله الأماسي أنموذجاً

Divine dignity in the art of Arabic calligraphy - calligrapher Hamdallah Al-Amasi as a model.

خالد خالدي^{1*}

د. أحمد بن صغير²

¹ جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان (الجزائر). khaled.khalidi@univ-tlemcen.dz

² مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الاغواط (الجزائر). benseghirlag@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/14 تاريخ القبول: 2021/08/31 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص : نلوج في هذه الدراسة إلى أدبيات الكرامات الصوفية للخطاط كونه فنّان ومبدعٌ بمدوّنته الجبلية والشّفهيّة المعاصرة من منطلقٍ نقديّ، وذلك من حيث كونها منبعاً أدبياً يغزو القصّة والمسرحيّة والرّواية والشّعور وبالخصوص اللّوحة الفنيّة الخطيّة، ونحن في هذه الدراسة لا يعنينا إطلاقاً عن مصداقية حدوث الكرامة من عدم حدوثها بقدر ما يهّمنا الوصول إلى كون الخطّ له علاقةٌ وطيدةٌ بكتابة القرآن الكريم ممّا يجبرنا على الخوض في تساؤلاتٍ عن المؤثرات الرّوحية لهذه الآيات القرآنية التي يتعايش معها الخطاط، ونتناولها من حيث هي رؤى نقديةٌ إبداعيةٌ ذات آفاقٍ رحيّةٍ اجتماعيةٍ تمثّلت في قراءة حياة الخطاط الوليّ الصّالح حمد الله الأماسي رحمه الله.

كما تهدف هذه الورقة البحثية إلى علاقة الخط العربيّ المتماشية مع علم الإنسان، وكذا تأصيل هذه الملكة الإلهية التي تملك الفنّان الخطاط في أدبيات ممارسة الكتابة، ومعرفة البعد الرّوحيّ الصّوفيّ الجبليّ الذي يُحيط بفنّ الخط العربيّ، لسبب تكوينه وعلاقته بالكينونة الإنسانيّة.

كلمات مفتاحية: الفنّ الإسلامي، الخطّ العربي، الرّوحانيّة، الوجدانيّة، الكرامة الرّبّانية، الجماليّة.

* المؤلف المرسل. خالد خالدي

Abstract: In this study, we delve into the literature of the mystical dignity of the calligrapher, as he is an artist and a creator of his contemporary mountain and oral blog from a critical point of view, in terms of being a literary source that invades the story, the play, the novel and poetry, and in particular this artistic painting does not mean the occurrence of dignity in our study. As much as we are concerned with the fact that calligraphy has a close relationship with the writing of the Holy Qur'an, which compels us to delve into questions about the spiritual influences of these Qur'anic verses with which the calligrapher coexists, and we address them in terms of creative critical visions with social, spiritual horizons, represented by the good calligrapher in God's life reading Hamad Al-Amassi, may God have mercy on him.

This research paper also aims at the relationship of Arabic calligraphy in line with anthropology, as well as the rooting of this divine queen who owns the calligrapher artist in the literature of the practice of writing, and knowledge of the mountain mystical spiritual dimension that surrounds the art of Arabic calligraphy, for the reason for its formation and its relationship to human being.

Key words: Islamic Art; Calligraphy Arabi; Spirituality; Compassionate; Divine dignity; Aesthetic.

1. مقدمة :

أوهب الله في الإنسان كراماتٌ وغرسَ فيه مواهبَ جعلته يتميز عن غيره، لذا يعتبر الخط العربي فناً من الفنون الإسلامية المقدسة يربّي الذوق ويُزهِفُ الحِسَّ في جانبه الرُّوحي، وللخط العربي مسارٌ تاريخي يبيّن اتّصاله بالبعد الرُّوحي لعمليّة الكتابة فهو خطٌ ليس كباقي الخطوط، ومن خلال إبراز أن التّصوُّف في مجال فنّ الخط العربي له رصيدٌ مادّي ثقافي وإرثٌ جماليّ يجمع بين صفات الجمال والجلال، وأنّ الحرف العربيّ معجزةٌ من المعجزات الكبرى باعتباره مادّة القراءة، فهو آية من آيات الفتح الأكبر التي خصّ بها الله تعالى بني البشر، فبعد أن كان الخط مجرد أشكالٍ ورسوم جعله الوحي القرآني روحاً وعنصرًا تتجلّى بفضله المعاني والأسرار والأنوار، كما تنافس القراء في تجويد قراءة القرآن الكريم، تنافس أيضًا الكتّاب والخطاطون في تجويد حروفه وتنميقها، وأبدعوا في تنويع خطوطه مستلهمين في مقاييسه أساسيات هندسيّة جامعين

في كتابه ألواناً من الفنون والعلوم بالمعرفة والتأمل والاستمداد الروحي من شيوخهم في التربية إلى الله عز وجل.

قد يبدو للبعض أنّ الكرامات أمرٌ غير حقيقيّ، وأنّ لا وجود لها في الواقع، "وأما أمرٌ من نسج مخيلة الإنسان المحلقة زوراً في عالم المعنويات والمعيبات، معللاً ذلك بأنه أمرٌ يُنافي أبسط القواعد المنطقية والعقلية، فضلاً عن النظام الطبيعيّ السائد المحكوم لقانون السببية والمسببية، أو ما يُصطلح عليه بقانون (العلية والمعلولية)*، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالكرامة كالمعجزة ليست خرقاً لقانون العلية والمعلولية" (الجيلالي، 1997، صفحة 111)، بل هي عين الخضوع والمحكومة لهذا القانون، لأنّ قانون العلية حاكم على عالم الغيب والشهادة معاً وفي كلّ عالم بأدواته، وليس محصوراً بعالم الدنيا فقط، وبالتالي فإنّ الكرامة ليست خروجاً عن حدّ هذا القانون العامّ، بل هي ظهورٌ لقانون العلية الحاكم على عالم الغيب، وبصور غير الصور المادية والطبيعية التي ألفناها أو اعتدنا عليها. وقد استعان الكثير من الباحثين بدراسات أنثروبولوجية التي أعانتنا على فهم بعض الظواهر الغامضة في الكرامات. وكان للبحث جانبٌ ميدانيٌّ تمثّل في الحديث عن المرحوم الخطّاط (حمد الله الأماسي) وحياته الفنية والصّوفية وملكوته الإلهية، لتكون الحصيلة كلّها مادةً صالحةً للتّحليل والبحث عن الجوانب الجمالية، التي تتغلغل في نفس البشر محدثة شعوراً جبلياً وإحساساً فياضاً بالمتعة وراحةٍ للعين في النّظر لأعماله الفنية الساحرة، لم يجد لها علماء الفلسفة الجمالية تفسيراً.

أما سبب اختيارنا للموضوع منها ما هو ذاتي والآخر موضوعي: فأما الذاتي ما نتأثر به خلال ممارستنا لهذا الفنّ المقدّس ومعايشتنا معه، وأما الموضوعي فهو معرفة علاقته بالدلالة الفنية في أصول الكتابة ومعرفة تلك العلاقة اللاهوتية بين كينونة الخطّاط الروحية وموهبته الإلهية التي تدفعه إلى الإبداع وما له من علاقة بين ما يكتب بالخطّ العربي في المصاحف الشريفة والأحاديث الشريفة، وبين ما يؤثّر في وجدانية الخطّاط لتحقيق الجلال والكمال، ومن هنا راودتنا إشكالية عميقة المعنى والوزن والتي كانت كالتالي:

1.1 الإشكالية: - هل يعدُّ العملُ الفنّيُّ الإبداعِيُّ في الخطّ العربيّ مظهرًا من مظاهر

الكرامة الرّبّانية؟

ومن خلال هذه الإشكالية أجبرتنا على طرح بعض التّساؤلات التالية:

- كيف أثر الخطّ العربي على نفسية المتلقّي في تربية سلوكه وتهذيب النّفس؟
- هل يمكن الحديث عن علاقة بين الخطّاط وربّه؟
- كيف يرى الخطّاط هذه الكرامة الرّبّانية؟ وكيف يتعامل معها؟

2.1 الفرضيات: مما يسوقنا إلى طرح الفرضيات التّالية وهي أنّ الخطّاط قد يكون طيّعاً لهذه الحروف بملكة روحانية أو بسليقته، وربّما يكون للخطّ العربيّ علاقة مع الحالة النّفسية والوجدانية للخطّاط، وربما أنّ هذه المعاني التي يكتبها بخطّ يده تؤثر عليه وكأَنَّها تربّيه، كما أنّ الخطّ العربيّ يتطوّر بالتّمرّن ويذهبُ بالترك، ولهذا اخترنا الوليّ الصّالح والإمام الخطّاط "حمد الله الأماسي" كأنموذجاً للدراسة نظراً لشمولية حياته على الجوانب الرّوحانية التي نحتاجها في هذا البحث، معتمدين على المنهج التحليلي الوصفي الذي سيمكننا خلال هذه الدّراسة.

2 الكرامة الرّبّانية

1.2 . تعريف الكرامة:

(قال الشيخ عبد القادر الجيلي): "الكرامة هي أمرٌ خارقٌ للعادة، وهي غير مقرونة بدعوى النّبوة ولا هي مقدّمة لها، يكرّم الله تعالى بها أوليائه الصّالحين، وعباده المخلصين، لما هم عليه من طهارة القلب وصفاء السّريّة وشدّة الالتزام بالشرّعة وأحكامها، فوصلوا بعبوديتهم لله تعالى بدرجة جعلتهم أصحابَ ولايةٍ تكوينيّة، مكّنتهم بإذن الله أن يؤثّروا في حوادث هذا العالم وأن تصدّر منهم الكراماتُ وخوارق العادات" (الجيلي، 1997، صفحة 172)، فغدا لديهم، على قدر مرتبتهم المعرفيّة والإيمانيّة، والمعنويّة، نوعٌ من التّصرّف في عالم التّكوين، "ولكن لا على نحو الاستقلال وإنّما بإذن من الله تعالى، وبمشيئته، وهي أمرٌ خارقٌ للعادة غير مستندٍ لأسباب ولا

مقرون بالتّحدي، يجريه الله على يد بعض أوليائه وخاصّته ترقيةً لهُمته، أو إظهاراً لهُتبته، أو تأنيساً له من وحشته، أو إعانة له على وقته، أو زيادة له في معرفته، أو امتحاناً له في حالته" (الجيلالي، 1997، صفحة 235)، ويكفي لضرب المثل وتقريب الفكرة أنّنا عندما نودّ التدبّر والتأمّل في مفهوم الكرامة الإنسانية وفق الفهم البشري لا بدّ لنا من أن نرى ذلك التداخل بين مفهوم الكرامة العام، وبين (ماهياته) ** المكوّنة له والتي تنعكس تشريعاً وأحكاماً ورؤى.

2.2 مفهوم الكرامة الإنسانية في القرآن:

يرى الأستاذ محمد تقيّ الجعفري أنّ مفهوم الكرامة الإنسانية يعني: "عبارة عن امتلاك الإنسان للشرف والعزة والتّوفير والحيشة التّقويمية". (الجعفري، 2017، صفحة 122)

3 أصناف الكرامة الإنسانية البشرية:

1.3 الكرامة الطبيعية الإنسانية: وهي تلك التي متّع الله تعالى الإنسان بها دون استثناء، حيث يقول الله عزّ وجل في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. (الإسراء، الآية 70)

2.3 الكرامة الإنسانية الإلهية: "وهي عبارة عن ذلك الشرف والحيشة التّقويمية التي يتمّ الحصول عليها بالسّعي الاختياري في مسير التّزكية التّفسيّة وتحصيل المعرفة وإدراك الوجود والتّقرب إلى الله"، (كاظم، 2020) حيث أنّ معرفة الكرامة الإنسانية أو احترامها يشكل إحدى المقدّمات الصّورية لذلك. إنّها تلك الكرامة العظمى التي عينها الله سبحانه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات، الآية 13)

4 شروط الكرامة الرّبّانية:

"أنّ تظهر على يد موسوم بخير و صلاح أي صاحب الاستقامة الدّينية وقد تظهر على يد أبله فلا يشترط فيه ذلك لسقوط التّكليف عنه" (الجيلالي ع.، 1999، صفحة 164)، وهذا دليل على القطع والفصل في هبة الله عزّ وجل لعبده، فإذا ما أحبه أعطاه وفضّله فرحمه، "وكونها لا تبلغ إلى حد إيجاد

ابن من دون أبٍ وأن لا تكون بمحرمٍ مجمعٍ على تحريره، ومعظم الأئمة على أنه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة في جنسها وعظمتها حتى إحياء الموتى، والفرق بينها وبين المعجزة في أن المعجزة متحدى بها على عكس الكرامة فالمعجزة تدل على النبوة وصاحبها يعلم أنه نبي بخلاف الكرامة فإن دلالتها على الولاية ظنيّة ولا يعلم صاحبها أنه ولي وربما يعلم ذلك " (الجيلالي ع.، 1966، صفحة 11)، وهذا ما هو عليه جماعة من أئمة الطريق.

1.4 وظائف الكرامات: حدّد معظم العلماء في فلسفة التّصوّف للكرامات وظيفتان أساسيتان هما:

1.1.4 إثبات الولاية: وهي خاصّة بالتصوّفين وحدهم.

2.1.4 التنفيس الإبداعي عن أفراد المجتمع: وهذه عبارة عن إنتاج إبداعيّ جماعيّ لإفراد المجتمع إمّا لإرضاء حاجة الإبداع لديهم وإمّا لتكون قناعاً لمجاهة حاكم ظالم أو لستر فضيحة اجتماعية أو لتحقيق مكسب اجتماعي لا يمكن تحقيقه إلّا بوساطة ادّعاء الكرامة للانكسار الذي يعانيه شعب ما، وهناك وظيفة أخرى للكرامة هي الوظيفة التّعليمية وفيها الحثّ على مكارم الأخلاق وعلى الجهاد ضدّ العدو وعلى البذل والإحسان، وهناك وظيفة فنيّة قد تستلزم الوجود كفنون التّحرفة والكتابات الخطيّة، وهي ما نصبوا إليها في دراستنا هذه.

5. دراسة تطبيقية لحياة الخطاط حمد الله الأماسي الفنيّة والصّوفيّة

1.5 مدرسة الشّيخ حمد الله:

قلّة هم الرّجال، الذين يتركون في الحياة آثاراً، وأعمالاً فنيّة عظيمة وخالدّة عبر التّاريخ، أعمالاً ساهمت بشكل فعّال في صنع تاريخ هؤلاء العمالقة، ولا تزال تنطق بفضلهم وجهدهم العظيم وإن رحلوا إلى جوار ربهم.

هؤلاء الرّجال الذين قدّموا إبداعاتهم في جانب من العلوم، أو الفنون، قد قاموا ببلورة إبداعاتهم وتجاربهم، ومن ثمّ نقلوها إلى طلابهم، وتلاميذهم ومريديهم، ليكونوا بذلك مدارسٍ شامخةٍ لن ينساها التاريخ أبداً، مدارس تسهم في تقدّم الفنون وتنوّعها، تفيد كلّ دارسٍ ومهتمٍّ بالعلوم والفنون كافّة، ولم يكتفوا بذلك فقط بل أسهموا بتأسيس مدارس تسهم في تطور العلوم والفنون التي قامت على أكتافها

الحضارات الإسلامية الإنسانية في كل قطرٍ إسلاميٍّ، هؤلاء هم الرّواد الأوائل الذين أفنوا حياتهم وأنفسهم بالتّعلم والعلم والتّعليم من أجل وصول هذه العلوم إلينا، لكي نتعلّم منهم ونُنْهَج منهاجهم ونكمل مسيرتهم بالتّفايٍ والإخلاص ليكون لنا الآن راية للعلوم والفنون من بين الرّايات العالمية في سماء هذا العالم الواسع.

ومن هؤلاء العظام الخطّاط، مؤسس المدرسية العثمانية لفنّ الخطّ العربيّ، قبله الكتاب، وشيخ هذا الفنّ المستطاب، فقد شهدت له الدّنيا، واتّفق على تفضيله، وتميّزه ونبوغته، الخاصّ والعام، فهو الإمام الأوحد، الهمام المفرد، مولانا بحمد الله ابن الشيخ مصطفى المعروف بابن الشيخ، وشيخ الرّماة.

2.5 ولادته ونشانه:

"ولد الشيخ حمد الله رحمه الله في مدينة أماسيا (Amasya) التّركية ما بين عامي (830_833هـ)، (1429-1426م). وقيل أيضاً أنّه ولد بعد وفاة ابن الصّائغ بسنتين، أو ثلاث ما بين عامي (847-848 هـ)، (1443- 1444م)، فأبوه هو الشّيخ مصطفى ده ده، وهو من أتباع الطّريقة الشّهر الوردية الصّوفية، وأحد شيوخها وأقطابها المعروفين، وأمّه هي السيّدة حافظه خاتون، فبدأ دراسته وتحصيله العلمي في أماسيا، أخذ علومه الأدبية، والدّينية عن خطيب قاسم أفندي، وهو أستاذ السّلطان بايزيد الثّاني، وأخيه السّلطان أحمد في الوقت نفسه". (كهيه، 2015، صفحة 19) أمّا في التّصوف فقد أخذه عن والده مصطفى ده ده، حتّى وصل إلى درجة سير و سلوك (seyr stilak) *، وهي درجة من درجات الطّريقة الصّوفية، فأكملها وأصبح خليفة، من بعد والده. ولهذا السّبب عرف بالشيخ أيضاً.

3.5 نبوغه في فنون الخطّ:

أمّا في فنّ الخطّ العربيّ فإنّ لشيخنا (حمد الله) أثراً واضحاً، وجليّاً في هذا الفنّ العريق الذي أخذه عنه تلاميذه. إذ بدأت رحلته مع هذا الفنّ على يد أستاذه الأوّل علي بن يحيى الصّوفي، فأخذ عنه شيئاً قليلاً، لكنّه تخرّج وأتقن هذا الفنّ على يد أستاذه خير الدّين المرعشي (ت 1470 م _ 874هـ)، وأخذ عنه الإجازة خير الدّين المرعشي أفضل من يكتب الأفلام السّنة على طريقة ياقوت المستعصمي في زمانه

(1298_689هـ) * (كهيه، 2015، صفحة 21) لم يتوقف حمد الله عند هذا الحد، بل أخذ يجمع ويتمعن في كتابات ياقوت المستعصمي، وعبد الله الصيّري، وكذلك تمعن في كتابات (حيدر كنده نويس) (الشكل 1).

4.5 جهوده العلميّة:

"إنّ جهود الشيخ أحمد الله لم تكن عاديةً هكذا ولم تذهب سداً، بل فاق كتاب أهل زمانه، وأهل عصره، وآوانه وأصبح من أفضل الخطّاطين الذين يكتبون على طريقة ياقوت، كما لقّب بياقوت الثاني، وقد تعرّض وأصيب في أواخر عمره بمرض الرعاش الرعشة في رأسه، أمّا يده فلم ترتعش قطّ، بل إنّ خطّه في آخر عمره كان يضاهي خطّه في شبابه". (بكري، 2016)

أمّا عن شهرته فقد نال منها حمد الله نصيباً وافراً لم يتسنّ لأحد قبله أن يحظى بها، حتّى إنّ الملوك قاموا بخدمته، وأمسكوا له الدّواة التي كان يستعين بها في الكتابة، ويكفيه شرفاً أنّه قضى عمره في كتابة القرآن الكريم. وقد كتبه سبعمائة وأربعين مرة (47)، وكان يكتب سورة الأنعام التي لها وقع خاصّ عند الخطّاطين، كما كان يكتب مجموعات الدّعاء. أمّا كتاباته في (الثلاث الجلي) *** في جامع بايزيد في إستانبول، وفيروز آغا، وداود باشا وبايزيد في (رأدرنه) تُعدّ شواهد شاهدة على إبداع حمد الله وفنّه، ومع ذلك فلم يكن مهتماً كثيراً بالثلاث الجلي، لكونه كان عنصر تكميلياً، وتزنيّاً في البناء المعماريّ.

لقد أرسى الشيخ حمد الله الأماسي قواعد مدرسة عظيمة في فنّ الخطّ، وتلمذ على يده الكثيرين، وكان من أبرز تلاميذه: (السّultan بايزيد الثاني، والسّultan قورقود وابنه -أي ابن حمد الله - مصطفى ده ده ، وزوج ابنته شكرا لله خليفه). (الشكل 3، 2)

5.5 عائلته وكرامته الفطريّة:

في تلك الفترة كانت مدينة أماسيا مركزاً للعلم والفنّ، فتكاثرت المجرّات إليها، لا سيما البخاريّون الأتراك، وكانت عائلة الشيخ (حمد الله) من انتقل إليها. ذكرت بعض الروايات، أنّ جدّ الشيخ حمد الله (ركن الدّين أفندي) هو من انتقل من بخاري إلى أماسيا، وتقول أخرى: إنّ والده هو الذي انتقل إلى أماسيا آنذاك. وثمة رواية جميلة في زواج الشيخ مصطفى ده ده تقول: "بينما كان أبو الشيخ حمد الله

يتجول بين أزقة أماسيا صادف رجلاً مباركاً وقال له: "أي ده أفندي هناك فتاة في الحيّ الفلاني بنت امرأة فقيرة، فلا تتردد في الزواج منها". (كهيه، 2015، صفحة 25)، وما لبث الشيخ مصطفى ده ده إلا أن قام بتنفيذ هذا الأمر، فوجد تلك الفتاة وتزوجها، وبعد فترة وجيزة لقي ذلك الرجل من أهل (الكشف)* مجدداً، فسأله عن سبب ما أوصى به، وفي هذه المرة رفع الرجل يده إلى السماء وقال له: "حيث إنك تزوجت بنت تلك الفقيرة فإني أدعو الله عز وجل أن يرزقك منها ولداً يكون حديث الناس بكماله وعلمه وجماله ويذكر اسمه إلى يوم القيامة، وليكن اسمه (حمد الله) ليكون حامداً لله". (كهيه، 2015، صفحة 23)، وحقاً فقد صدقت دعوة هذا الرجل الصالح المبارك، فكان الشيخ علماً شامخاً من أعلام فن الخط العربي الذين خلّد اسمهم التاريخ. ولا نستغرب أن يكون الشيخ حمد الله بهذه الصفات الجليلة النبيلة، وكانت أمه ترضعه، وترضع إخوته (شكر الله، محمد جلي) وهي على طهارة. لقد كان الخط نصيباً أيضاً في اختيار الشيخ حمد الله لرفيقة دربه، فتزوج من ابنة خاله الخطاط المشهور جلال الدين الأماسي، ورزق منها بنتاً وابناً سماه مصطفى ده ده، وقد صار تلميذه في الخط فيما بعد.

6. إسهامات الشيخ حمد الله في فن الخط العربي

1.6 أسلوبه في فن الخط العربي:

كان أسلوب الشيخ حمد الله في الخط مضبوطاً مقيّداً بطريقة ياقوت المستعصمي، وكانت الأقلام الستة حتى ذلك العهد تُكتب على طريقة ياقوت الشائعة منذ عهد العباسيين، ولشدة اتقان حمد الله هذه الطريقة، سمي "بالياقوت الثاني"، ويمكن لنا أن نقسم حياة الشيخ الفنية إلى قسمين:

الأول: كتاباته في أماسيا، هي مرحلة مشق وتقليد وكتابة على طريقة ياقوت المستعصمي بعد

دراسة مستفيضة لها وتمعن دقيق فيها. (الشكل 04)

والقسم الثاني: كتابات الشيخ بعد قدومه إلى إستانبول، وقد أحدثت ثورة وانقلاباً في حياة

الشيخ ومسيرته الفنية وكان عمره حينها سبعة وأربعين سنة تقريباً. حيث بدأت هذه المرحلة في إستانبول على طريقة ياقوت نفسها دون أن تظهر آثاره للتغيير. علماً أن السلطان بايزيد الثاني وابنه الأمير قورقود

كانا شغوفين بتعلّم فن الخط وهيناً لحمد الله كلّ ما يحتاجه حتّى يؤدّي مهمّته على أكمل وجه. حتّى إنّ السّلطان بايزيد الثاني كان يمسك له الدّواة في خضوع وإذلالٍ احتراماً وإجلالاً لحمد الله الأماصي واعتبر نفسه مريده واتّخذ معلّماً وأستاذاً له، وكان يدعم ظهره بوسادة ليتكئ عليها كي يكتب وهو مرتاح، وفي إحدى جلساته مع السّلطان أخرج له من خزانة القصر سبع قطعٍ من أجمل وأنفس ما كتب ياقوت المستعصمي، وكان أثر ياقوت ما زال سارية في كتابات الشّيخ، فقال له السّلطان مشجعاً إياه ومشيراً لضرورة التّغيير وإحداث مدرسة خاصّة بالعثمانيين بتلميح بسيط: "لو اخترت أسلوب غير أسلوب ياقوت لكان أحسن. كان لهذه النّصيحة أثراً كبيراً في نفس الشّيخ، فانقطع من فوره معتكفاً، متأملاً في تجربته السّابقة في الكتابة، وقام بدراسة حروف ياقوت دراسة جديدة لا سيما في خطّي الثّلاث والنّسخ، فاختار أجمل حروف ياقوت وجعلها أساساً في دراسته للخروج بمنحى جديد، وما لبثت الأقلام السّتة على طريقة الشّيخ حمد الله أن انتشرت في كافّة أراضي السّلطنة العثمانية، واندثرت بذلك بطريقة ياقوت. (الشكل 5)

وثمة بعض الروايات انتشرت عن سبب نجاح تجربة الشّيخ الجديدة في الكتابة وسرّ انتشارها، فذكرت هذه الروايات أنّ الشّيخ حمد الله لما كان منقطعاً لتأمّل كتابات ياقوت وجد صعوبة في الخروج بأسلوب جديد، لكنه استعان بسيدنا (الحذر عليه السلام) فعلمه ما عسر عليه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّها كرامة ربّانية، المهمّ أنّ الشّيخ حمد الله خرج بعد هذا الجهد بأسلوب جديد ليكون بذلك المدرسية العثمانية الأولى في الخط. (الشكل 06)

2.6 إسهامات الشّيخ حمد الله في فن الخط العربي:

- إنّ أبرز التّغييرات التي أحدثها الشّيخ حمد الله في طريقة ياقوت المستعصمي: (بخطّ الثّلاث والنّسخ) إسهامات الشّيخ حمد الله في فن الخط العربي.
- فقد أعاد البنية الهندسيّة والنّسب الدّهية للحروف وجعلها أكثر ليونة، فصارت أكثر ديناميكية وحركية ممّا كانت عليه في كتابات ياقوت المستعصمي.

• لو نظرنا إلى حروف ياقوت المستعصي من ناحية بنيتها الشكلية فهي جميلة، ولكن الشكل العام من الناحية الجمالية التشريعية فهو غير مكتمل. وقد عمل الشيخ حمد الله على نسب الحروف ومعالجة الفراغات بين الكلمات ورسم الكلمة على السطر، فصارت أكثر سلاسة ورشاقة. (الشكل 7)

• توزيع الفراغات ما بين الحروف عند الشيخ أكثر توازنًا من توزيعها عند ياقوت، إذ نلاحظ السطر عند ياقوت المستعصي متراكمة ومزدحمة، أما فلسفة السطر عند الشيخ حمد الله فتجده أكثر راحة واستقرار. (الشكل 8)

• الحروف النازلة عند الشيخ حمد الله مثل الزاء والواو أكثر تفصيلاً من الناحية التشريعية.

• الكلمات عند الشيخ مكتملة من ناحية عرض ورفع القلم. (الشكل 9)

• ونلاحظ أيضاً أن قلم الشيخ أكثر ميلان من قلم ياقوت، وكأن ياقوت يكتب بقلم مستقيم. (الشكل 10)

• أما في كتابه المصاحف الكريمة فللشيخ حمد الله أثر وبصمة واضحة حيث كانت تكتب المصاحف بالأقلام الستة. فعمل الشيخ على كتابة المصاحف بخط النسخ، وذلك لسهولة قراءته ولجماله وبقيت هذه السنة التي سنّها الشيخ إلى يومنا هذا، وعمل أيضاً على نظام السطر ووضع القياسات المثالية للصفحة ودراستها بين السطور ما جعلها أكثر لباقة وبساطة وجمالاً، وبدأت المصاحف التي كانت تكتب بخط الرّيحاني والمحقق تترك شيئاً فشيئاً حتى أواخر القرن السابع عشر، إذ أصبح خط النسخ أساساً في كتابة المصاحف. وأصبحت القياسات التّمودجية للصفحات (المرقعات)* التي وضعها الشيخ التّمودج المثالي للخطّاطين من بعده، وانتقلت تجربته إلى الأجيال جيلاً بعد جيلٍ على يد تلاميذه من أمثال ابنه مصطفى ده ده وصهره شكر الله خليفة وأحفادهم. كما اتخذ الشيخ حمد الله عدّة توقعات في حياته ومن جملة توقعاته (كتبه ابن الشيخ حمد الله، كتبه رئيس الخطّاطين حمد الله المعروف بابن الشيخ، سوده ابن الشيخ، كتبه حمد الله بن مصطفى ده ده المعروف بابن الشيخ، كتبه حمد الله المغفور له، كتبه تراب أقدام

المساكين المذنب)، وهي تعابير إن دلّت على شيء إنما تدلّ على تصوّف وتواضع الخطاط وخضوعه لربه وكأنّ هذه الآيات تربيته وتجعله خضوعاً لربه، وهي دلالات قطعية أنّ حمد الله الأماسي كان وليّاً صالحاً، وإنّا لنتخذنه كذلك رحمه الله. (الشكل 11، 12)

3.6 وفاته:

بعد حياة حافلة من العلم والمعرفة والفن والتّضرّع لله والعطاء، فقد كانت حياته مليئةً بالإنجازات والحبّ الكبير، والتّقاني لهذا الفنّ العظيم انتقل الشّيخ (حمد الله) إلى جوار ربه، واختلف المؤرّخون في تاريخ وفاته فمنهم من قال: توفي في زمن السّلطان (سليم خان) أثناء فتح مصر، ومنهم من قال: إنّه توفي أثناء حملة فتح مصر يوم معركة حلب، وقيل: توفي و السّلطان سليمان القانوني على العرش في نهاية سنة (1520-192م)، وذكر مستقيم زاده سليمان سعد الدّين أفندي في كتابه تحفة الخطاطين: " أنّه الشّيخ حمد الله توفي سنة (925-1519م)، ودفن في حيّ سكودار (استانبول) في مقبرة كرجي أحمد ". وقد ارتأى الباحثون بأنّ هذا التّاريخ، هو الأرجح. "وبعد سنين من وفاته، كان قد عزم المرحوم الخطاط (الحافظ عثمان) على كتابة شاهد قبر للشّيخ (حمد الله) ليكون وسيلة للدّعاء، وقراءة سورة الفاتحة على روح الشّيخ حمد الله، ولكنّ كان الشّيخ حمد الله قد أوصى بعدم كتابة شيء على قبره، ممّا جعل (الحافظ عثمان)، يتراجع عن قراره هذا ". (الميس، 2016، صفحة 94)، وثمة قصّة في هذا الأمر، الّذي جعل الخطاط الحافظ عثمان يكتب اسم الوليّ الصّالح حمد الله على ضريحه في صخرة من الرّحام، وهي علاقة روحية جعلت منه يرى في منامه رؤيا، ويصدّق بها، فإنّ روحانية الحافظ عثمان بفنّ الخط ارتبطت بروح شيخه حمد الله بالتّصوّف ارتباطاً شديداً، حيث تشكّلت روحه الظّاهرة النّقية وارتبطت بتصديقه للرؤيا بعد أن تمّت له الفتوى بكتابة اسم المرحوم، فامتزجت بالمتصوّفة العارفين بالله والأقطاب السّائحين في ملكوت الله، فقد كان الحافظ عثمان رحمه الله شديد التّواضع رفيع الأخلاق متبعاً الطّريقة السّنبلية التابعة لطريقة الشّيخ السيّد علاء الدّين أفندي المعروف به (سنبل أفندي) الواقعة في منطقة كوجه مصطفى باشا. ولم تُؤثّر شهرته الواسعة، وقربه من السّلطان مصطفى الثالث في هذا الأمر، ولعلّ هذه الرّوحانية الّتي امتلكها الحافظ كان لها انعكاس مباشرٍ وأثرها الأكبر على روحه وجلّ كتاباته وفنونه

العميقة، إذ إنَّك لا تحسّ عندما تقرّأ كتاباته بالجمال فحسب، بل تجد نفحات روحية تسري في كيائك وروحك التي خلقها الله عزّ وجلّ. ومن ثمّ نلاحظ العلامة المتلاحمة بين الحافظ عثمان والشيخ حمد الله من خلال التّصوف والزّهد والعشق في محبة الله عزّ وجلّ، حيث كانت علاقة الحافظ عثمان بالشيخ حمد الله الأماسي علاقة صوفية روحية أيضا وتميزها الثّري، والدّلّيل على ذلك هو تصديقه للرّأي وكتابه لاسم معلّمه الأزلي الذي لم يره ولم يلتق معه إلّا بالنام.

7. خاتمة:

إنّ القيمة الرّوحانية الجمالية في فنّ الخطّ العربيّ تنطلق من كونه يرتبط بالقيمة الوجدانية للخطّاط، وإذا أردنا أن نساير في هذه الفلسفة العميقة علينا أن ندرك الفرق بين علاقة الخطّاط بالخطّ وعلاقة الخطّاط برّيه وبشيخه في هذا الفنّ، وهذه ستأخذنا إلى أوّل نتيجة وهي التّربية والسلوك إلى الله عزّ وجلّ، وإنّ نزول التّعاليم الإلهية في شكل كتب سماوية تدلّ على حضور الكتابة في هذه العلاقة بين الخالق وعلاقته بين بني البشر. حيث يتمتّع الخطّاط المتميّز برغبة في الميل إلى الاستحداث والابتكار وهذا الميل خلق لديه نظرةً فاحصةً للأشكال والنماذج التي استحدثت و أثرت الخطوط العربيّة كما أنّها ساعدت في الوقت نفسه على بثّ روح التّطور والنّماء المتجاوز للملل والإثارة و الإعجاب اللّذان تبعثهما اللّوحات المخطوطة ناتجان عن مقدرة الخطّاطين المبدعين وسعة اطلاعهم وكفايتهم وتميّزهم في الوصول إلى أنماط جماليّة فريدة حازت إعجاب النّاس وشدّت انتباههم، فلقد استطاع الخطّاطون أن يستوعبوا هذه الميزات بفهم ودراية وعلم عندما اكتشفوا إمكانيّة كتابة عبارة واحدة بأشكال مختلفة وكلّ ذلك ترك باب البحث في دراسة شخصية الخطّاط النّفسية والوجدانية، وما لوحظ خلال ممارستنا لهذه الدّراسة أنّ فنّ الخطّ العربيّ له خاصيّة منفردة في تأثيره على الخطّاط بنفسه، وأنّه ليس أيّا كان يكون خطّاطاً إلّا من وهبت فيه هذه الملكة الإلهية والتي وجدناها إلّا كرامة ربّانية، فإنّه فنّان يكتب الكلمة ويتموسق معها بجماليّة، فهو ينمّقها ويعيش سحرها فيعكسه في براعة خياله الواسع، ويأخذك إلى عالم الجمال الخصب الممزوج بالكمال والجلال، ذلك ما لوحظ على حياة حمد الله الأماسي رحمه الله، وأنّ الكتابة وثقت بظهورها

القيم الحضارية والإنسانية، والخاصية التي ميّزت الخطّ لدى العرب والمسلمين العجم وهي ارتباطه بالقرآن الكريم منذ نزوله، بحيث كان هذا الارتباط من المحفّزات الكبرى للاشتغال به وتدوّقه بل وتقديسه.

1.7 النتائج المتوخاة:

- إن كان أكثر النّاس لا يهتمّون إلّا بالكرامات الحسّية من قبيل: التكلّم مع الموتى، والإخبار عن المعيّات، والمشي على الماء، واختراق الهواء، وطّي الأرض، والاحتجاب عن البصر، وإجابة الدّعاء وغيرها من الكرامات التي يكون طابعها وموردها حسّياً في الأغلب، إلّا أنّه يوجد، في الحقيقة، نوع آخر من الكرامات، وهي المعنوية، التي لا يعرفها ولا يهتمّ بها إلّا الخواصّ من عباد الله المخلصين، وقد اخترنا منها الخطّاط.
- إنكار الكرامة بدعة ومنكرها مبتدع يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى لمكابرته نصوص الكتاب والسنة وخرقه إجماع الأمة.
- نقل الشّيخ زروق عن الشّيخ العقباني رضي الله عنهما: أن كلّ كرامة لوليّ فهي تصديق لنبيّه الذي اتّبعه فالتّكذيب بكرامات الأولياء كالتّكذيب بمعجزات الأنبياء.
- الخطّ ملكة من الملكات الرّوحانية الإلهية التي توهب ولا تؤخذ.
- كان الخطّاط إماماً وفقهياً في الدّين، ملماً بالأمر الفقهيّة الإسلاميّة.
- وصلنا إلى أنّ فنّ الخطّ العربيّ كرامة ربّانية لأنّه يتعامل معها بعلاقة بينه وبين شيخه ورّبه.
- استطاع فنّ الخطّ العربيّ أن يناجي فينا الرّوح والوجدان بكلّ ما يملك من جماليات شكلا ومحتوى.

إنّ ملكة الخطّ العربيّ هي ملكة من الله عزّ وجلّ أوهبها لدنيا من عنده عزّ وجلّ في الإنسان، ولهذا أصبحت الأمة الإسلاميّة تقرأ وتكتب، وأيضا أصبحت هناك ثقافة شفهيّة وثقافة مكتوبة وهو ظهور علوم أخرى كالصّرف والتّحوي (مسألة المقروئية).

2.7 مصطلحات في البحث

*- **العلية والمعلولية**: وهي أن يترافق عروض العلية والمعلولية لا إلى نهاية، بأن يكون كل ما هو معروض للعلية، معروضا للمعلولية، ولا ينتهي إلى ما تعرض له العلية دون المعلولية فإن كانت المعروضات متناهية فهو الدور بمرتبة، إن كانا اثنتين، وبمراتب إن كانت فوق اثنتين، وإلا فهو التسلسل، أما بطلان الدور فلأنه يستلزم تقدم الشيء على نفسه، وهو ضروري الاستحالة.

*- هو الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوس أي عظيم القدر، الحسني، أبو محمد، محي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، وهو مؤسس الطريقة القادرية، ومن كبار الزهاد والمتصوفين.

** - الحقوق والواجبات والاحتياجات الإنسانية والضمانات الأكيدة لها، وحكم العقل والضمير بها. وبين التصور والحكم المسبق الذي وضع الاعتبار لهذه المقومات وجعلها معيار وجود أو عدم لهذا المفهوم في الواقع.

*- **سير وسلوك (seyr stilak)**: وهي درجة من درجات الطريقة الصوفية التي كانت تشترط على همة العلم في فنّ الخط العربي بتركيا.

***- وهو أحد الخطوط القوية ومن أصعبها، حيث يكون حجم الحرف فيه زائداً، ينتمي للأقلام الستة، وبه تعرف قدرة الخطاط وبراعته.

* - **الكشف**: مصطلح مستخدم عند المسلمين على مختلف توجهاتهم، لكنهم يختلفون في مدى قبوله أو رفضه، ولما كان الصوفية يدعون الكشف والخوارق، فقد اعتمدوا الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، وجعلوه وسيلة الوصول إلى معرفة الله تعالى، بل به تتحقق غاية عبادتهم، فهو قوة جاذبة بخاصيتها، نور عين البصيرة إلى فضاء الغيب، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية، حال مقابلتها إلى فيضه، ثم ينصرف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب، ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل، فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر في استفاضة نور العقل على ساحة القلب، فيشرق القلب على إنسان عين السرّ، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه، ودقّ عن الأفهام تصوّره، واستتر عن الأغيار مرآه.

*- **المرقعات**: هي ورق مقهر يحدث فيه التزاوج بين خطين من الأقلام الستة، مثل: خط الرقاع وخط التوقيع، خط الثلث والنسخ، المحقق والنسخ، المحقق والريحاني، وكان التزاوج بين خطين أحدهما دقيق والآخر جلي.

7. قائمة المصادر والمراجع

- سورة الإسراء. (الآية 70). القرآن الكريم.
- سورة الحجرات. (الآية 13). القرآن الكريم.
- سيدي عبد القادر الجيلاني. (1997). *الفتح التّجاني والفيض التّجاني*. عمان، الأردن: دار الريان للتراث.
- عبد القادر الجيلاني. (1999). *الغنية لطالبي طريق الحق* (المجلد 1ط). بيروت: دار الجيل.
- عبد الكريم بن ابراهيم الجيلاني. (1966). *الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب*. القاهرة، مصر: دار القلم والرسالة.

- عمار كاظم. (12 12, 2020). كرامة الإنسان في القانون الإلهي. تاريخ الاسترداد 12 12, 2020، من موقع البلاغ: <https://www.balagh.com/article>
- عمر نوح كهيه. (2015). إمبراطورية فن الخط العربي في العهد العثماني (المجلد ط1). الكويت: مركز الكويت للفنون الإسلامية.
- محمد تقى الجعفري. (2017). العلمانية دراسة وتحليل، العتبة العباسية المقدسة (المجلد ط1). عمان، الأردن: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
- مصطفى الحاج بكري. (29 4, 2016). الشيخ حمد الله الأماسي نصح يدرس التعلم من مهندس الحرف الأول ياقوت المستعصمي. تاريخ الاسترداد 12 12, 2020، من <https://www.adwhit.com>
- وليد عبد الله المنيس. (2016). فضل الخط والتوزيع الجغرافي لنسخ القرآن الكريم (المجلد ط124). الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

8. الملاحق



(الشكل 1): (صفحات من القرآن الكريم كتبها ياقوت المستعصمي من مقتنيات العتبة العلوية في النجف الشرف)



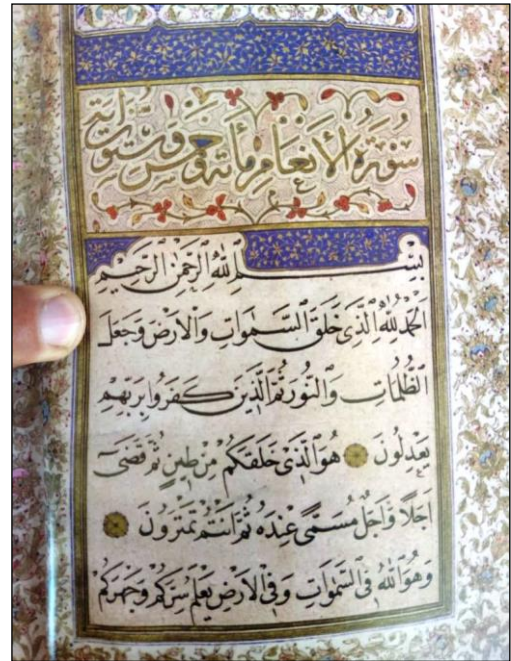
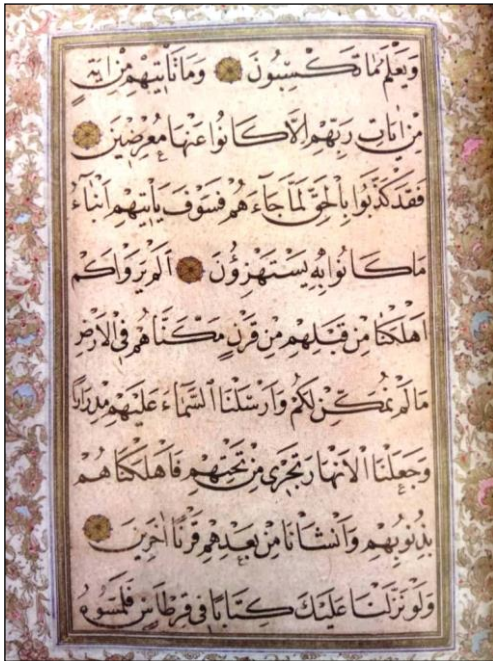
(الشكل 3، 2): (صفحتان من القرآن الكريم بخط مصطفى ده ده ابن الشيخ حمد الله الأماصي محفوظ في مكتبة جامعة إستانبول)



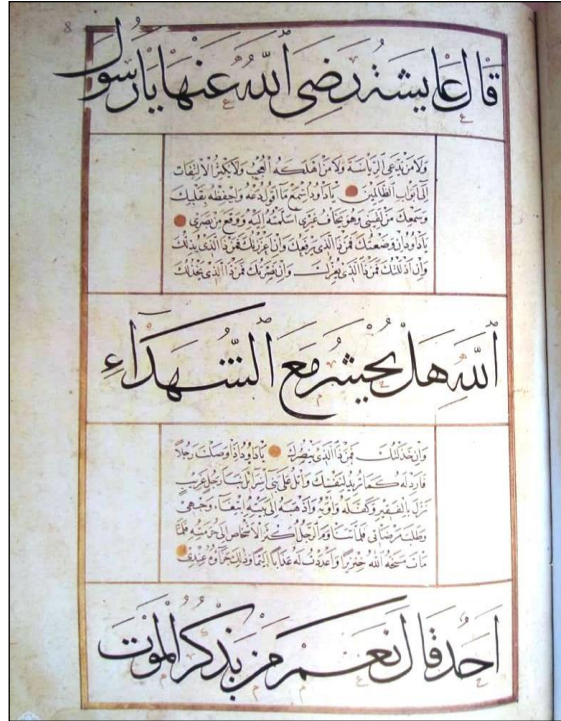
(الشكل 4): (مرقعة: من مقتنيات النادرة بمكتبة السلجمانية، باستامبول، من كتابات حمد الله الأماصي)



(الشكل 5): (صفحة تعود لحمد الله الأماسي مكتوبة بخط الثلث، تبين لنا مدى تأثره بياقوت المستعصمي، وتواضعه)



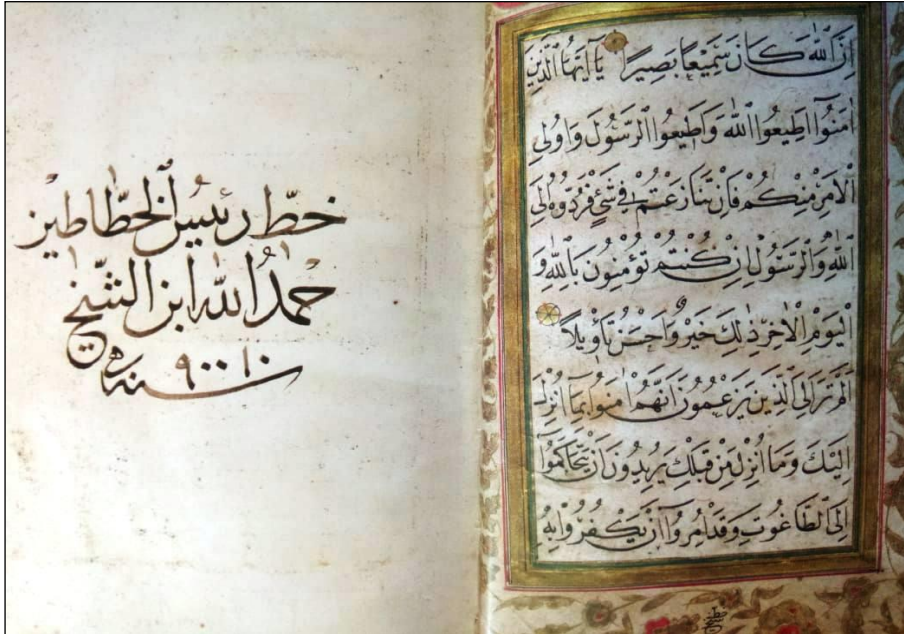
(الشكل 6,7): (صفحتان من سورة الأنعام مكتوبة بخط النسخ للشيخ حمد الله من مقتنيات مكتبة الآثار النادرة جامعة استامبول)



(الشكل 8): (إكتست الكتابة بالمرقعات عند حمد الله الأمامي حلة جديدة تهمم بالنسبة الذهبية والفراغات، من مقتنيات مكتبة السلیمانیة)



(الشكل 9): (من الكتابات الأولى لحمد الله الأمامي التي توحى أنه جدد مستواه وابتكر مدرسة جديدة)



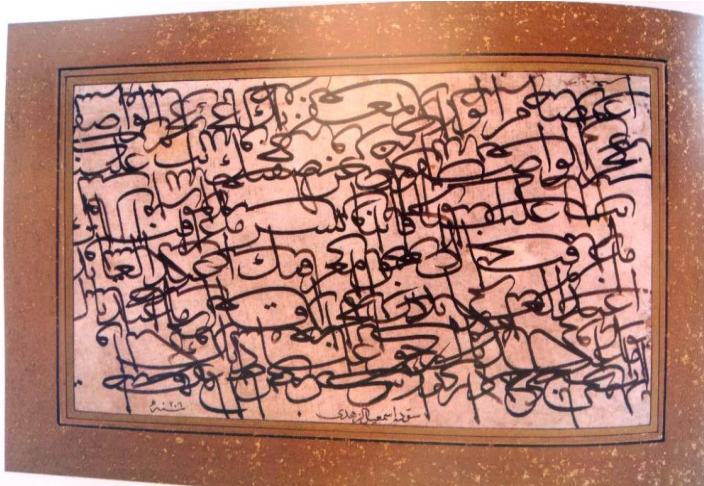
(الشكل 10): (من كتابات حمد الله تظهر قدرته على تحريف قطعة القلم الذي يكتب به)



(الشكل 11): (للخط المحقق نصيب من كتابات حمد الله الأماسي، من مقتنيات دار المخطوطات العراقية، بغداد)



(الشكل 12): (من مقتنيات مكتبة الآثار النادرة بجامعة استامبول، وهي أروع مرفعات كتابات حمد الله الأماصي في عزّ عطائه)



(كريمة، من أعمال الخطاط المرحوم الزهدي: الكريمة هي بقايا تدريبات الخطاط ومشقه للحروف أثناء تدريباته)